قراءة سوسيولوجية في القصة الكردية القصيرة
"نماذج مختارة من الإبداع النسوي الكردي"

البراء صفوان عبد الغني
معيد بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر
ونائب مدير التعليم بمركز الشيخ زايد
لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالأزهر الشريف

ملخص البحث بالعربية

يعالج المنهج الاجتماعي النصوص الأدبية ويحللها طبقا لمدى تعبيرها عن الوسط الاجتماعي الذي أنتجها؛ ولهذا يتعامل هذا المنهج مع النصوص الأدبية تعاملا جماعيا غير مستقل عن شروط الإنتاج الاجتماعي لتلك النصوص.

ومن ثم؛ فإن النص الأدبي –أيا كان نوعه- يتضمن آثار المجتمع والجماعة والمؤسسة الأدبية التي أنتجته، ويستفيد في معالجته للظواهر الإنسانية والظواهر الاجتماعية المختلفة من مرتكزات علم الاجتماع؛ الأمر الذي يجعل من فنون الأدب –خاصة القصة القصيرة- صورة معبرة عن المجتمع وقضاياه، ويعكس موقفا من طبيعة العلاقات الاجتماعية الدائرة بين أفراده، ومدى تشكيل هذا الأدب لأذواق الأفراد وتغيير سلوكهم.

الأدب -إذا- يؤدي وظيفته ويقوم بها خير قيام عندما يغدو انعكاسا للحياة الاجتماعية في مختلف آفاقها.

ومن هذا المنطلق سطرت هذا البحث، وهدفت من خلاله إلى:

- الكشف عن أثر المجتمع في القصة القصيرة الكردية من خلال نماذج مختارة من الإبداع النسوي الكردي.
- تجلية المضامين الاجتماعية للأدب في النماذج المختارة.
- الكشف عن مدى قدرة الإبداع النسوي الكردي في بلورة الحدث الكردي الجمعي خاصة في ظل تصارع القوي الدولية على بقاء المجتمع الكردي دون كيان جامع معترف به دوليا.

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

Abstract

The social approach to literary texts analyzes them according to how far they express the social environment from which they are produced; therefore, this approach treats literary texts in a communal manner that takes the conditions of the social production of literary texts in consideration.

Hence, a literary text, regardless of its genre, contains traces of its society, community and literary school. Furthermore, it benefits from the principles of sociology in analyzing personal and social phenomena; such fact makes literary genres, especially short stories, as perfect images of the society and its problems that reflect an attitude towards the social relationships between people and how literature forms people's sense and changes their behavior.

Literature, thus, best performs its role when it becomes a reflection of the social life and its different horizons.

From this premise, I wrote this paper for the following goals:

- To discover the social effect on the kordish short story through selected writings by female kordish writers.
- To manifest the social topics of literature in the selected writings.
- To see the creative talent of kordish female writers which crystalizes the communal-kordish-event as the global powers struggle to keep the kordish society without a globally recognized entity.

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

المقدمة

الحمد الله الذي هداني إلى سواء السبيل، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على إمام الأنبياء، وسيد المرسلين، سيدنا محمد الأمين، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،

فإن الرؤية الإنسانية الشاملة للكون والإنسان والحياة هي جوهر الأدب –أيا كان نوعه- منذ نشأته خاصة ما يتصل بالبحث عن "القيم الأخلاقية التي تساعد الإنسان على التواؤم إزاء الصراعات التي تواجهه؛ من أجل تثبيت قيم الحق والخير والجمال"[١].

والقصة القصيرة جنس أدبي يعالج تلك القضايا معالجة دقيقة خصوصا وأنها مناسبة للإيقاع السريع للحياة اليومية المعاصرة التي تزدحم فيها الأحداث بحيث لا تأخذ وقتا طويلا في مطالعتها بعدما أصبح العالم متشابكا إثر ما طرأ عليه من آثار العولمة المتلاحقة. ولذا؛ أضحت القصة ذات أهمية كبيرة، بل صار الإقبال عليها قراءة وإنتاجا يدل على أن هذا النوع الأدبي أكثر ملاءمة من غيره من الأنواع الأدبية الأخرى؛ إذ إنها: عمل أدبي يتميز بالإيجاز والتكثيف اللغوي وصعوبة اختيار المواقف والأحداث وسبر أغوارها. إن القصة القصيرة بالنسبة لهذا العصر السريع والمتغير –وفق ما ذكره نجيب محفوظ- تعد "من أنسب الأشكال الأدبية له، وأنها في شرقنا مزدهرة ازدهارا يوازي الرواية أو أكثر في المجلات والصحف والتلفزيون"[٢].

و"مما لا شك فيه أن الأدب الكوردي قد تأثر بالأيديولوجيا بسبب الأزمة الكردية في العراق على مدى عقود خلت"[٣] ؛ فلا عجب إذا أن تكون القراءة السوسيولوجية في القصة القصيرة الكردية محور هذا البحث من خلال تطبيق ذلك على نماذج مختارة من إبداع الكاتبات الكرديات.

وقد دعاني لجعل هذا الموضوع عنوانا للبحث أسباب عدة، منها:

- المعاناة الجمعية التي تعرض لها الأكراد: إناثا وذكورا في ظل وطن مقسم.
- أن النماذج المختارة التي اعتمدها الباحث كانت نتيجة لتلك المعاناة الجمعية؛ الأمر الذي أنتج اتجاها إبداعيا يسطر تلك المعاناة في إبداعه، وهو ما جعل أولئك المبدعين يؤسسون كيانا جامعا لهم؛ يوحد هويتهم كـ "رابطة كاوا للثقافة الكردية"[٤].

(١) وادي، طه (٢٠٠١) القصة ديوان العرب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الطبعة الأولى، ص١.

(٢) عبد العزيز، إبراهيم (١٩٩٠) رحلة في عقول مصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص١٤٢.

(٣) خليل، خالدة (٢٠١١) تفكيك النص مقاربات دلالية في نصوص منتخبة، منشورات اتحاد الأدباء الكرد، دهوك، الطبعة الأولى، ص ٨١.

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

- أن النماذج المختارة من الإبداع الكردي –في هذا البحث- هي لكاتبات كرديات وليس لكتاب أكراد؛ والمرأة تسطر المعاناة الجمعية بكل صورها كما ينبغي.
- أن هذه القصص –موضوع البحث- مرتبطة بالتحولات التي تعرضت لها القومية الكردية في النصف الثاني من القرن العشرين.

ولذا؛ استعان الباحث في قراءته هذه بالمنهج الاجتماعي الذي يكشف عن الظواهر الأدبية من خلال تمثل وجهة النظر الجمعية؛ لإن المجتمع هو المنتج للأعمال الإبداعية (الفنون كلها، ومنها الأدب بأنواعه)، فالقراءة وفق هذا المنهج تعد بمثابة تمثل الحياة على المستوى الجمعي طبقا لنظرية "الانعكاس" التي أصل لها جورج لوكاتش، و"رؤية العالم" التي عالجها لوسيان غولدمان مرتكزا على مبادئ لوكاتش، بل طوّرها حتى تبني اتجاها يطلق عليه "علم اجتماع الإبداع الأدبي"، حاول فيه الاقتراب من الجانب الكيفي على عكس اتجاه "سكاربيه" الكمي [٥] .

وبتطبيق نظرية "الانعكاس" و"رؤية العالم" على الإبداع النسوي الكردي في القصة القصيرة –النماذج المختارة- في إطار منهج علم الاجتماع الأدبي (البنية الدالة، ورؤية العالم وفق رؤية الكاتبات الكرديات موضوع البحث) يمكن ربط الإبداع الكردي بمحيطه المجتمعي الخارجي، والعوامل التي تحكمت في إنتاجه؛ ومن ثم عالج الباحث النصوص المختارة في إطار ما تسطره التساؤلات التالية:

- ما القضايا الاجتماعية التي عالجتها الكاتبات الكرديات –النماذج المختارة-؟
- ما الآليات التي اعتمدتها الكاتبات في معالجتهن لتلك القضايا؟
- ما أثر تلك المعالجات في الإبداع النسوي الكردي؟

---

(٤) تأسست رابطة كاوا للثقافة الكردية في بيروت في ٤/١٤/ ١٩٧٨، وقد عُنيت بمواجهة الحملات الاعلامية والثقافية التضليلية التي شنتها وتشنها الأنظمة والحكومات في الدول التي تضم أجزاء من كردستان (وخاصة في سوريا والعراق) ضد الشعب الكردي، وتستهدف النيل من أصالته ورسم صورة عدائية له في ذهن المثقف العربي للحيلولة دون حصول أي شكل من أشكال الاقتراب الثقافي والإنساني من جانبه تجاه القضية الكردية.

وقد عملت الرابطة –كذلك- على إبراز الدور الحيوي والإستراتيجي للمؤسسات المختلفة في تشكيل الحياة الثقافية والعلمية والاجتماعية للشعوب، ومساهمتها النشطة في خلق بيئة فكرية سليمة ترتكز على رؤية الأشياء من الداخل ولا تكتفي بمعرفة ظواهرها. والنظرة النقدية إلى كل ما له علاقة بالكون والحياة الإنسانية، وإرساء التقاليد الإيجابية بين الناس كالتسامح واحترام الآخر والتنافس الايجابي وحب العمل العام وروح المشاركة الجماعية وممارسة الديمقراطية ...الخ. ينظر: سعيد، شيرزاد: رابطة كاوا للثقافة الكردية، ربع قرن في خدمة القضية الكردية:
https://www.facebook.com/partiyaazadikurdilisouri/posts/165186910284728

(٥) ينظر: فضل، صلاح (٢٠٠٢) مناهج النقد المعاصر دار ميريت للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٥٦.

إن القراءة النقدية –وفق المنهج الاجتماعي- تنظر للأعمال الأدبية من خلال مدى تعبيرها عن الوسط الاجتماعي الجمعي المنتج لها؛ لأن أي أدب لا بد أن يحتوي على مدلول يرتبط بقضية اجتماعية، وهو صلب البحث الذي تسطره الإجابة عن التساؤلات السابقة، وسوف أقتصر في هذا البحث على توضيح قضية الحرية والعدالة الاجتماعية ومحاربة القهر والاستبداد، وأثر ذلك على الجماعة الكردية، مع تعضيد ذلك بالنماذج من الإبداع النسوي الكردي.

عينة البحث

اختار الباحث نماذجه من كتاب جامع للإبداع النسوي الكردي وعنوانه: صفحات من الإبداع النسوي الكردي "غرب كردستان"، رابطة كاوا للثقافة الكردية، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، أربيل، كوردستان. جمع هذا الكتاب مختارات من الإبداع النسوي الكردي لتسع كاتبات كرديات مختلفة النتاج ما بين شعر وقصة ومقالة؛ يجمعهن جميعا العرقية الكردية، بالإضافة إلى معالجة قضايا اجتماعية وقومية غاية في الأهمية. وهؤلاء الكاتبات على الترتيب: أفين شكاكي، أمينة بريمكو، أوركيش إبراهيم، شيرين شيخو، فرحة خليل، نارين عمر، نسرين تيلو، نسرين مسكو زادة، ووجيهة عبد الرحمن، بالإضافة إلى إبداع بالكردية للكاتبة بيوار إبراهيم.

وقد عمد الباحث إلى اختيار نموذجين يمثلان الإبداع النسوي الكردي خير تمثيل خاصة في معالجة القضايا المجتمعية والقومية؛ فاختار نماذج من إبداع كاتبتين هما:

- أمينة بريمكو.
- ووجيهة عبد الرحمن سعيد.

أمينة بريمكو

كاتبة قصصية كردية، بدأت في نشر نتاجها الأدبي والفكري منذ عام ١٩٩٤م، نشرت في معظم المجلات الثقافية الكردية، في سورية منها: المثقف التقدمي، المواسم، سور غول، والطليعة، وغيرها. لها مساهمات عديدة في الصحف والمجلات العربية كجريدة "ديار" اللبنانية ومجلة "متين" العراقية، ومن قصصها التي اعتمدها الباحث: الحمامة المغبَّرة، أمور إنسانية، حقول الضباب الخالية، سألد اليوم وردة، عاصفة الهلاك، ومقبرة الأحذية[٦].

وجيهة عبد الرحمن سعيد

ولدت عام ١٩٦٩م بديرك "المالكية" محافظة الحسكة، وتخرجت في معهد إعداد المدرسين قسم اللغة العربية، كتبت الشعر في مطلع التسعينيات، وتناولت في قصائدها مواضيع اجتماعية وذاتية بمعاناة واضحة في شتى المجالات. عملت باحثة اجتماعية في مجال المرأة والطفل والأسرة، كما شرعت في إعداد بحث موسع عن سيكولوجيا الجريمة عند المرأة. وتغلبت نوازع الإبداع القصصي على الشعري لديها؛ إذ تجد في القصة ميدانا واسعا تنفخ فيه

(٦) صفحات من الإبداع النسوي الكردي "غرب كردستان" (٢٠٠٧)، رابطة كاوا للثقافة الكردية، الطبعة الأولى، أربيل، كوردستان، ص١٦.

الروح من خلال الشاعرية التي تسرد بها. دخلت ساحة الإبداع القصصي في مطلع القرن الحادي والعشرين، وقصصها اجتماعية في معظمها؛ تعكس معاناة المجتمع في صورة الفرد. اهتمت بقضايا المرأة المتنوعة في قصصها؛ لتجسد معاناة جمعية للمرأة الكردية. كتبت –أيضا- القصة الومضة، ولها مجموعة قصصية بعنوان "نداء اللَّزوَرد". ومن قصصها: إنها حمراء، رصيف الهجرة، همس الجدات، ودفترها الأزرق. حصلت على العديد من الجوائز والأوسمة على مستوى سوريا في مجال القصة، منها:

- الجائزة المركزية لنقابة المعلمين.
- جائزة البتاني للقصة القصيرة.
- جائزة اتحاد الكتاب "فرع دمشق".
- جائزة الخابور للأدباء الشباب [٧].

المحور الأول

القضايا الاجتماعية التي عالجتها الكاتبات الكرديات (نماذج البحث)

عالجت الكاتبتان قضايا اجتماعية وقومية عدة شملت: الأفراد على اختلاف توجهاتهم وأعمارهم، والأسرة بكل أبعادها وصلاتها، والدولة بكل أركانها ومناحيها: السياسية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية، ونخص منها: قضية الحرية والعدالة الاجتماعية.

من أهم القضايا التي اعتنى بها الإنسان عبر التاريخ ووضع لها القوانين وأثرت حولها الأعراف المختلفة حسب عرف كل بيئة (قضية الحرية والعدالة الاجتماعية).

والكاتبتان –عينة البحث- في عالمهما القصصي تطالبان بالحرية والعدالة الاجتماعية، وتدعوان إلى محاربة القهر والإذلال بكل أنواعه وعلى كل المستويات حتى اختلطت مناداتهما بالحرية والعدالة الاجتماعية بكل القضايا.

في البداية تطالعنا الكاتبة "أمينة بريمكو" في عنوان إحدى قصصها "الحمامة المغبَّرة" بأن الحرية مسلوبة؛ فهذه العتبة –التي يفتتح بها النص- توحي بحرية صورية روجت لها الأنظمة القمعية؛ لقمع قومية بكاملها، أنظمة مختلفة ومتعددة تصر على وأد حرية الكرد؛ خوفا من زلزلة عروشهم.

[٧] السابق، ص ص١٣٣، ١٣٤.

إن هذه الرمزية –بالحمامة المغبّرة (الفتاة الكردية)- لتوحي بشراسة القمع والقهر الواقع على هذه القومية في صورة تلك الفتاة.

إن "أمينة بريمكو" تجسد ذلك الصرا

ع بين الطبقة الفوقية قوى البطش (الأنظمة القمعية التي لا تريد إقامة دولة للأكراد) وبين الطبقة التحتية التي تمثل الرد القاسي من هذه القومية في وجه الغاصبين في صورة الفتاة. لذلك أصرت الكاتبة على تجسيد النصر والغلبة لطبقتها التي تمثلها البطلة؛ إذ تتساءل الساردة تساؤلات تجسد تغلب طبقتها على قوى البطش الغاصبة، تقول:

"هل ما زلتِ حية؟ هل بزغت أجنحتك من جديد؟ وأنت الحمامة المغبّرة على سطح أحد الأبنية الشاهقة. فكرت: هذه الفتاة الشقية، ترى هل ما زالت تعاقب سنواتها المعتمة؟ كانت رسالتك كقطرة ماء باردة في صيف قائظ، قرأتها مرات عدة، شهقت لحظتي بنوبة فرح؛ كيف تجاوزت انحناءات القدر؟؟"[٨].

وتسترسل الساردة في تفنيد عوامل القوة الرادعة لدى طبقتها في شخص تلك الفتاة التي وقفت صامدة وسط حشود طاغية "كيف وقفت وسط الحشود، رفعت الغطاء عن وجه جدك الميت، بصقت في وجهه، كيف انتشلوك كحشرة قذرة إلى الخارج، أشبعوك ضربا، وأنت بين صفعة وأخرى تسوين ثوبك الطويل، تصرخين بألم: "اتركوني يا كلاب، أنتم أبناء العاهر العجوز"[٩].

مقطع يفوح عهرا اجتماعيا جماعيا من قوة ذكورية –لا أقول رجولية-: باطشة غاصبة منتهكة تجسد الطبقة السلطوية المتحكمة –وأرجح أنهم هنا أتباع النظام الحاكم آنذاك- وتعاملهم مع قومية بأكملها تجسدها رمزية الفتاة التي تعادل الوطن الكردي، والفتاة أصل في الصون والتقدير ممن بيدهم القوة – هذا هو الأصل- أما هنا فقد حدث العكس أن انتهكت تلك العفة والطهارة رغما عنها، في الوقت الذي حرصت الفتاة على تسوية ثوبها. وقد برعت الساردة في وصفها الثوب بـ"الطويل" فلما بلغ السيل الزبى بهذه الفتاة ما كان منها إلا أن صرخت بألم: "اتركوني يا كلاب، أنتم أبناء العاهر العجوز".

الآفاق الثورية التي أبلى فيها الأكراد بلاء حسنا ضد نظام قمعي تجرد من أدنى معنى للإنسانية؛ إذ استخدم السلاح الكيماوي المدمر ضد شعبه؛ راجيا أن يُبيد قومية بكاملها، وما عملية الأنفال عنا ببعيدة.

(٨) السابق، ص١٧.

(٩) السابق، نفسه.

تستشرف الساردة تلك الآفاق الثورية وتصل إلى النهاية المحتومة من تغلب لطبقتها وعرقيتها؛ لتزيل كل ما حدث ضدها منذ الماضي السحيق. وقد استخدمت الساردة عدة أليات لتجسيد هذه النتيجة وذلك من خلال المنطقية التالية[١٠]:

- الظلم الواقع على الفتاة [١١] (رمز الطبقة أو القومية الكردية) من انتهاك وقهر واغتصاب.
- المعادل الموضوعي في ثنائية: السلطة والذكورة، وأن هذه هي تلك، ونتائجهما واحدة.
- فقدان الثقة من الفتاة (القومية الكردية) في ثنائية السلطة والذكورة.
- تخطيط الفتاة للانتقام من الذكورة المعطوبة.
- إضمار الحقد لكل ذكر (رمز لكل طاغية من النظام)؛ إذ تحولهم رغباتهم المكبوتة إلى وحوش.
- تصميم الفتاة على التمسك بطهارتها وعفتها ما كلفها ذلك (رمزية للقومية الكردية وتمسكها بالخلاص والاستقلال).
- البناء والنهوض بالمجتمع (الدولة الكردية) وهو ما يجسده الزواج الذي جعلته الساردة إشراقا لهبّات السنوات المعتمة.

تقول الساردة مخاطبة البطلة:

"تبررين حقدك بقولك: "الرجال عبارة عن رغبات مخفية، هذه الرغبات تقتل فيهم إنسانيتهم، تحولهم إلى وحوش". كنت مندهشة عندما أحببت شامخ، كل محاولاتك لم تمنع في زواجي منه، والآن يا صديقتي بعد كل

(١٠) يُنظر: السابق، ص ص١٦، ١٩.

(١١) كثيرا ما يرمز المبدعون بالمرأة للوطن، وهو ما فعله القاص المصري محمد المخزنجي في قصصه، وجسده جليا في أحد مقالاته رابطا بين الذكورة والأنظمة المستبدة الباطشة، مبينا أن أي ظلم أو قهر وراءه ذكورة معطوبة، ويفضي إلى ظلم للمرأة رمز الطهارة والنقاء، ورمز الأمومة (الوطن) يقول المخزنجي: ""الأنثى التي هي أطيب فواكه الأرض، ثمرة الحاضر الشهية وحاضنة بذور المستقبل، مدبرة شئون البشرية من الميلاد حتى الممات، الأنثى هذه عندما تنسحق تتحول إلى نقيض فاجع لكل ما تمثله وبأضعاف أضعاف تحولات الرجل تحت شروط مشابهة"..." ما من ابتذال للأنثى إلا ويُسأل عنه الرجال. فما من عطب أنثوي إلّا وراءه ذكورة معطوبة، حيث الحياة أنثى، ومصر مؤنثة، والأرض كذلك، والمياه والطاقة والثورة. بينما الحُكم مُذكّر، والأمن مذكر، والتعصب مثلهما، فكلها مفردات ذكورية، ولا يقول رجولية، لأن الرجولة هي التي تصون للأنوثة عِرّتها". المخزنجي، محمد، عن سجن النساء، جريدة الشروق الجديد (المصرية) عدد ٨٦٦، نشر في: الخميس ١٦ يونيو ٢٠١١م، ص ١٤.

من الجدير ذكره –هنا- أن الرؤية نفسها (جعل الوطن مجسدا في صورة المرأة) جسدها الشاعر الكردي شيركو بيكه س في قصيدته "أقل من غمضة عين" وفق ما ذهبت إليه الناقدة خالدة خليل؛ إذ تقول: "ينهي الشاعر قصيدته بخطاب يوجهه إلى أنثى، وهو خطاب لا ينتهي بحكمة، وينتهي بصرخة مكرورة (يا لورا، لا تنسي كردستان يا لورا) كما لو أنه أراد أن يضع كردستان فكرة/ الأرض/ الأنثى/ الحبيبة بين دفتي أنثى من لحم ودم، إنها ببساطة لورا، المرأة التي أحرقت نفسها في سبيل الحرية". (خليل، خالدة: تفكيك النص، ص٥١).

هذه السنوات، تدعينني لحفل زفافك، استطعت أن تطهري روحك من هبات السنوات المعتمة، ربما هذه هي اللحظة الأكثر إشراقا في خيمة صداقتنا؟؟"[١٢].

وفي قصة أخرى لـ "أمينة بريمكو" هي "عاصفة الهلاك" تجسيد لكبت الحريات والقهر المنظم لا للفرد بل للسواد الجمعي من القومية الكردية، وهو ما يسطره عنوان القصة "عاصفة الهلاك"[١٣] ؛ فهذا الشاب بهزاد المدلل –آخر العنقود- الذي هو أعز ابن إلى أبيه وأمه، ولا ذنب له إلا أنه يحلم بحرية كاملة غير منقوصة له ولأترابه من الشبان الأكراد، ويجهر بذلك ! فيكون الجزاء قاسيا من قِبل النظام المتسلط الذي غيّب الشاب عشرين يوما، ثم جاءوا به وقت الفجر جثة هامدة متفسخة، مثخنة بالضرب الغائر في اللحم.

وتصور الساردة –في مشهد أليم- علاقة الشاب بهزاد بأمه الرؤوم؛ فهذا هو "صغيرها الذي كان يلاعب كرات البراءة فوق هضاب الطفولة .. بينما كانت تقوم بزرع حشائش النعومة في ساحة عمره؛ لتبعد خطواته عن نبراته عن نبرات الألم.

صامتة تدير حلقة الكابوس: "في ذاك اليوم المشؤوم دخل إليك، وهو يشتم بخشونة الذين رموا سهام الكراهية؛ لإشعال حزمة الانتقام. شرب قليلا من الماء، جلس يردد عبارات متوترة تنم عن فورة غضبه: "هم الذين أشعلوا حزمة الانتقام هم الذين شتمونا، قاتلونا، والحراس صفقوا لهم يا أمي .. لو رأيت وجههم، حينها كنتِ ستعرفين حالة الرعب التي تسكنهم، صرخت جزعة: "وماذا فعلتم؟؟" ابتلع مرارة السؤال وإجابتك بألم: "هربنا من الطلقات التي صوبوها نحونا، بدل أن يعاقبوا أولئك الذين كانوا ينتقمون لمعبودهم المخلوع.

في الليلة ذاتها، حاصروا جدران خوفك، وهم يخطفون عزيزك من فراشه؛ ليعيدوه لكِ بعد عشرين ﴿يوما﴾ وهو مائدة متفسخة من الجروح، والبصمات المخزية التي غرزوها في لحمه، تشي بغيظهم وغليانهم اتجاه ما يجري"[١٤].

وتنتهي الساردة بالقصة إلى لحظة ضبابية لكنها إلى زوال لا محالة: "الآن وأنتِ تذبحين بسكين الهيَّاب، تحتضنين جثة بهزاد.. تلثمين رائحة البكاء من ترابكِ المضرج برحيق الجراح! يتهاوى الليل حزينا فوق وجنتي الغد الذي يضم جثة بهزاد وحطام قلبيْ العجوزين"[١٥].

(١٢) السابق، ص ص١٩. وبالنظر إلى ما نقلته عن القاص (المصري) محمد المخزنجي في المرجعية السابقة وما جسدته أمينة بريمكو في قصصها من خلال هذا النموذج فإننا نجد وشائج اجتماعية مشتركة للأثر الاجتماعي في الأدب من خلال الإبداع، وليس أي إبداع، إنه إبداع المرأة الكردية في صورة أمينة بريمكو.

(١٣) من الجدير ذكره أن عتبات العناوين القصصية لأمينة بريمكو مختارة بعناية ومرجعية فائقتين؛ الأمر الذي يُظهر مدى التمكن الإبداعي للمبدعات الكرديات –أمينة بريمكو نموذجا- لأن العنوان هو مفتاح النص؛ إذ إنه أول جملة للولوج إلى ساحة النص الإبداعي، وهو السمة الغالبة لقصص أمينة بريمكو –التي وردت في كتاب: صفحات من الإبداع النسوي الكردي- يراجع في هذا قصص: الحمامة المغبَّرة، أمور إنسانية، حقول الضباب الخالية، سألد اليوم وردة، ومقبرة الأحذية.

(١٤) صفحات من الإبداع النسوي الكردي، ص٣٣.

(١٥) السابق، نفسه.

ويلاحظ أن الساردة جسدت الرد على التسلط في ضوء انفعالية الشاب واستسلام شاعري من العجوزين – الأب والأم- مشيرة إلى أنه إذا كان الكهول يسيرون وفق مبدأ السلامة؛ حفاظا على فلذات أكبادهم فإن الشباب يملك قوة رادعة للنظام القمعي حتى ولو ضحى بأخر قوة شابة؛ وفي هذا تجسيد لرؤية الساردة للتوجه الجمعي الثوري للشباب. وقد استعانت الساردة بآليات عديدة لترسيخ مبدأ الثورية وعدم الخنوع لدى الشباب بل والشيوخ أيضا، وذلك من خلال:

- الشاعرية المبثوثة في ثنايا القصة عبر عناصر عدة، منها: الخيال في ظل استخدام تشبيهات ومجازات مختارة بعناية من مثل: الشارع يرتدي رجالا مرتاعين، الدار ممرغة بتراب القهر، حاصروا جدران خوفك، تفتح المدينة المفجوعة نوافذها، ويتهاوى الليل حزينا.
- الصراع: المتمثل في وجهتي النظر المسطرتين على أرض الواقع: رؤية الشباب الثورية، مقابل رؤية الكهول المحافظة.
- تجسيد الحصاد المرّ للأنظمة المتسلطة، وفي المقابل النتيجة الحتمية بشروق شمس المستقبل الحافل بالحرية والعدالة للطبقة (القومية) الكادحة المتشوقة للاستقلال.
- مبدأ التضحية والفداء لأجل الوطن، وهو ما يجسده جانب الثورية عند البطل بهزاد الممثل لطبقته الجمعية.

وللمنادة بالحرية ودحض القهر نماذج أخرى عند "بريمكو"، وكذلك عند القاصة "وجيهة عبد الرحمن سعيد" التي ترى أن القهر قد بلغ درجة تنذر بكوارث تهدد المجتمع كله وذلك؛ بسبب توجهات سياسية معينة؛ فالفساد يضرب بجذوره في مؤسسات كثيرة في الدولة هذا الفساد الذي تسلل إلى مؤسسات التعبير عن الرأي كما في قصة "إنها حمراء"، "همس الجدات"، "دفترها الأزرق"، و"رصيف الهجرة".

ففي قصة "رصيف الهجرة" مناداة لحرية مُغلّفة، حرية فنية في الكتابة، حرية في التوقع، حرية في استشراف آفاق مستقبلية. وقد استخدمت الساردة آليات عدة لبلورة رؤيتها:

- آلية الحلم، واجترار الذكريات عن طريق التداعي الحر المباشر الذي يُذكر بماضٍ أليمٍ في أدق تفاصيله من مثل: طلاق اخت البطل دون سابق إنذار، وفاة زوج أخته، ثم انتكاسات أخرى اختتمت بلدغ الأفعى لأخيه الصغير هذا في فترة الطفولة فحسب.
- التفاؤل والروح الصوفية الآملة؛ فقد سرت روح التفاؤل في القصة رغم ما جسدته الأحدث المتلاحقة من شدة المصاب وفداحته؛ إذ "بعدما نخسر كل شيء نصبح أحرارا لفعل شيء ما"[١٦].
- المنولوج الداخلي الذي يعالج فيه البطل الخلل الواقع عليه من مثل قوله مخاطبا نفسه: "ما زلت أموت كل ليلة .... ولكن شيئا ما يُبقيني حيًا في الصباح"[١٧].

(١٦) السابق، ص١٤٢.

- أن الحل الذي سطرته الساردة قائم على أسس علمية: "كل ما عليَّ فعله هو معرفة: من أين أبدأ... ولمَ لا؟؟؟ ... وبعد ذلك اتجه إلى أقرب مكتبة؛ وابتاع رزما من الأوراق البيضاء، ثم عاد إلى غرفته"[١٨].
- تحقيق مبدأ الثورية البانية؛ حيث إن البطل لم يضيع وقتا، و "لم يكن راغبا في إراقة دم أية دقيقة لتذهب هدرا في جوف فضاء مغبر... ثم بدأ بكتابة أول جملة علقت بذهنه وهي: كي تشفى أبدا من جرحك ... "[١٩].

لقد أسهم المنهج الاجتماعي في بلورة رؤية جمعية للكاتبات الكرديات لكن بما يتفق وأيديولوجيتهن، وعلى هدى بما يسمى بـ (رؤية العالم) التي تعني: "مجموعة من الأفكار والمعتقدات والتطلعات والمشاعر التي تربط أعضاء جماعة إنسانية (جماعة تتطلب -في معظم الحالات- وجود طبقة اجتماعية) وتضعهم في موقع التعارض في مجموعـات إنسانية أخرى" [٢٠].

ويعني هذا أن الرؤية للعالم هي تلك الأحلام والتطلعات الممكنة والمستقبلية والأفكار المثالية التي يحلم بتحقيقها مجموعة أفراد في مجموعة اجتماعية معينة تمثلها في هذا البحث بعض الكاتبات الكرديات، وهو ما جسدته النماذج المسرودة.

وأخيرا، أشير إلى أن هذه قراءة في الإبداع النسوي الكردي؛ والقراءة تختلف تبعا لآفاق كل قارئ وظروفه المواتية، والمنظور الذي يحلل القارئ عبره؛ فهذه قراءتي أرجو أن تكون قد قدمت شيئا في معالجة الإبداع النسوي الكردي.

والله ولي التوفيق

(١٧) السابق، نفسه.

(١٨) السابق، ص ص ١٤٢، ١٤٣.

(١٩) السابق، ص ١٤٣.

(٢٠) ينظر: الرويلي، ميجان، وآخر، (٢٠٠٢) دليل الناقد الأدبي، ص٤٣.

قائمة المراجع:

١. خليل، خالدة: تفكيك النص مقاربات دلالية في نصوص منتخبة، منشورات اتحاد الأدباء الكرد، دهوك، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

٢. الرويلي، ميجان، وآخر، دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا)، المركز الثقافي العربي ٢٠٠٢م.

٣. سعيد، شيرزاد: رابطة كاوا للثقافة الكردية، ربع قرن في خدمة القضية الكردية:
https://www.facebook.com/partiyaazadikurdilisouri/posts/1651869102847 28 .

٤. صفحات من الإبداع النسوي الكردي "غرب كردستان"، رابطة كاوا للثقافة الكردية، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، أربيل، كوردستان.

٥. عبد العزيز، إبراهيم، رحلة في عقول مصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٩٩٠م

٦. فضل، صلاح: مناهج النقد المعاصر، دار ميريت للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٧. المخزنجي، محمد، عن سجن النساء، جريدة الشروق الجديد (المصرية) عدد ٨٦٦، نشر فى: الخميس ١٦ يونيو ٢٠١١م.

٨. وادي، طه، القصة ديوان العرب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.